التَّلطّف في الأساليب العربية:مواقفه،دوافعه ووسائله

(Kindness in Arab Approaches: Attitudes, Motives and Means)

*الدكتور نسيم محمود

** عبدالعليم

*** الدكتورعبد الرزاق آزاد

Abstract

Spoken words leave its impression in human daily life and play an important role to change the conversation trends from harshness to softness. The present paper discusses kindness in Arab approaches. It finds that individual courtesy and group positions are two main baptized positions of the speaker which have been elaborated with some examples. Politeness, respect and modesty, optimism, pessimism, veneration and glorification are the main motives of kindness in Arab styles، which have been illustrated to enrich the study. This research paper is a motivational study to use the soft and kind words in daily conversation which will lead to kindness, softness and caring attitude in human society.

Key Words: Kindness, individual courtesy, respect, modesty, optimism and Pessimism

إنَّ اللغات تتأثرُ بحضارات الأمم ونظمِها، وتقاليدها،وعقائدها،واتجاهاتها النفسية والثقافية وغير ذلك من شئون الحياة الاجتماعية،وكلّ تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردد صداه في أداة

* استاذالمساعد،قسم العلوم الاسلامية،كلية علامة اقبال الحكومية للتعليم العالى،سيالكوت

** استاذ المشارک، قسم العلوم الاسلامية،كلية جناح الاسلامية الحكومية،سيالكوت

***استاذ المساعد، قسم العلوم الانسانية، جامعة كامست، اسلام آباد، الحرم الجامعى، وہارى

التعبير وهي اللغة،لذلك تُعَدُّ اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب.فكلما اتسعتْ حضارةُ الأمةِ ، وكَثُرتْ حاجاتُها،ورقي تفكيرها،وتهذيتْ اتجاهاتُها النفسيةُ، فان اللغات نهضت بأساليبها و فنونُ اقاويلهاالمتعددة۔[2] واللغة العربية أصدق شاهدٍ على ما نقول فقد عُدَّتْ في مقدِّمة اللغات الراقية لما وصلت إليه من تهذيب في ألفاظها وسموٍّ في أساليبها،ودقةٍ في تراكيبها،ومرونة في التعبير عن حاجاتها،وتنوعت فنون القول فيها حتى سحرت كثيراً من الباحثين قدماء و محدثين۔فرأوها أفضل اللغات وأفصحها،وأجملها،ولذايقول ابن جنيّ الاديب العربي: "وذلك أنّا نسأل علماءَ العربيةِ مِمَّنْ أصلُه عَجَميٌّ وقد تدرب بلغته قبل استعرابه عن حال اللغتين، فلا يجمع بينهما،بل لايكاد يقبل السؤال عن ذلك،لبعده في نفسه، وتقدم لطف العربية في رأيه وحسهِ۔سألت غيرَ مرَّةٍ أبا عليٍّ رضي الله عنه.. عن ذلك،فكان جوابه عنه نحواً مما حكيته ... ولم نر أحداً من أشياخنا فيهاكأبي حاتم وبُنْدَار وأبي عليٍّ، وفلان وفلان يُسوُّون بينهما ولا يُقرّبون بين حاليهما . وكأنَّ هذا موضعٌ ليس للخلاف فيه مجالٌ لوضوحه عند الكافَّةِ"[3] واشار اليه ابن خلدون بان هٰذه الملكة حاصلة للعرب لبيان المقصد[4] وصرح ابن الفارس بافضلية اللغة العربية ووسعتها علىٰ الالسنة الاخرىٰ وذلك دليلٌ على أنَّ اللَّهَ اختارها لأشرف رسله وخاتم رسالاته ، فأنزل بها كتابه المبين[5] وإلى مثل هذا ذهب السيوطيُّ وغيره من علماء المقدمين۔[6] فبالاختصار أنَّ اللغة مرآةٌ ينعكس فيها كلُّ ما يسير عليه الناطقون في اظهار اقوالهم ،اراداتهم ومعاملاتهم الاجتماعية عامة كانت اوخاصة ويشمل ذلك العقائد والعادات،والتقاليد، والمبادئ وغير ذلك مما يصبغ اللغة بصبغة خاصّةٍ في جميع مظاهرها:في الأصواتِ،والمفرداتِ، و الدِّلالة،والقواعد،والأساليب۔فما يكون عليه الأفراد على سبيل المثال- من حشمةٍ وأدبٍ في شئونهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ينعكس صداه في لغتهم۔ ان هٰذالبحث العلمى مشتمل علىٰ أربعة مباحث التالية:المبحث الأول فى معنى كلمة التلطف والمبحث الثانى فى مواقف عمد المتكلم التلطف والمبحث الثالث فى دوافع التلطف واسبابه والمبحث الرابع فى وسائل التلطف فتفصيل هٰذه المباحث بما يلى:

---

[2] د.على عبدالواحدوافى،اللغة والمجتمع(السعودية :شركات مكتبات عكاظ،1403ھ 1983م)،13۔

[3] أبي الفتح عثمان ابن جنى،الخصائص، تحقيق۔ محمد على النجار(بيروت:دار الكتاب العربي)،1: 243۔

[4] عبدالرحمن ابن خلدون،مقدمة (بيروت :دار إحياء التراث العربي)، 546۔

[5] أبو الحسين أحمد ابن فارس، الصاحبي، تحقيق ۔السيد أحمد صقر(القاهرة :عيسى البابي وشركاه)، 16۔

[6] جلال الدين السيوطي،المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط۔ محمد أبوالفضل وغيره (بيروت:دار الفكر)،1: 321۔

المبحث الأول: معنى التلطف

التَّلَطُف في اللغة من مادةِ (لطف) و هو الترفقُ كما صرح ابنُ الفارس-[7]وفي التهذيب للأزهريّ "يروى عمروُ عن أبيه أنَّه قال :اللطيف :(الذي يُوصِل إليك أَرَبك في رفق . واللطيف من الكلام ما غَمُضَ معناه وخفي"[8] قال الزمخشرى"ومن المجاز... وتلطفتُ بفلانٍ:احتلتُ له حتى اطّلعتُ على أسراره"[9]وفى معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية،والتَّلَطُف في قوله تعالى{فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ }[10]أيّ وليترفّق في الحصول على ما يريد-يتضح مما سبق أنّ التَّلَطُف في اللغةِ يعني الترفق،غيرَ أنّه ترفقٌ لا يعدم الحيلة والفطنة والذكاء.وقد فطن القدماء من علماء العربية لهٰذه الظاهرة ودرسوها تحت مباحث الكناية وأنواعها ودوافعها،وعينواايضابعض المصطلحات المتصلة بهاكتحسين اللفظ،وتلطيف المعنى، والكنايات اللطيفة،والتعريض فيكون من الكناية وذاك أحسنهاالرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره قال الله عز وجل:أُحِلَّ لكم ليلةَ الصّيامِ الرَّفَثُ إلى نِسَائِكم-[11]

فى الاصطلاح كلمة التلطف قدعُرِفت في الدراسات الغربية الحديثة بمصطلح يوناني تعنى الدلالةُ الحرفيةُ له الكلامَ الحسن-[12]وقد تُرْجِمَ هذا المصطلح في العربية بألفاظٍ مختلفةٍ، فمن ذلك ما قاله الدكتور كمال بشر هو"حسنُ التعبير"[13]واعتبره الدكتور كريم زكي بتحسينُ اللفظ[14]وقال الدكتور أحمد مختار بانه التَّلَطُف[15]وزادالدكتور محمد علي الخولي وقال بانه لطف التعبير[16] وقد عرّفه أولمان

---

[7]ابوالحسن احمد بن فارس،معجم مقاييس اللغة، تحقيق- عبدالسلام محمدهارون (بيروت،دارالفكر ،1979م)،5: 197-

[8]محمد بن أحمد الأزهري،تهذيب اللغة،تحقيق-عبدالسلام محمد هارون(الدَّار المصرية : 1384ھ)،13: 347-

[9]جار الله الزمخشري،أساس البلاغة (بيروت،دار صادر،1399ھ)،409-

[10]الكهف18: 19-

[11]البقرة2: 187-

[12]د- كريم زكي حسام الدين،المحظورات اللغوية(مصر: مكتبة الأنجلو المصرية،1985م)،17-

[13]ستيفن أولمان،دور الكلمة في اللغة،ترجمة- د. كمال محمد بشر(مكتبة الشباب، 1992م)، 196-

[14]حسام الدين، المحظورات اللغوية،17-

[15]د. أحمد مختار عمر،علم الدلالة(الكويت، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، 1402ھ-1982م)،240-

[16]د. محمد علي الخولي،معجم علم اللغة النظري(انكليزي – عربي)(مكتبة لبنان)،88-

بأنه"وسيلة مقنعة بارعةٌ لتلطيفِ الكلامِ وتخفيفِ وقعه"[17] وعرّفه أحمد مختار بأنه"إبدال الكلمةِ الحادةِ بكلمةٍ أقل حِدّةٍ أو أكثرَ قبولاً"[18] ويُعَدُّ هذا الأسلوبُ الوجهَ المشرق لظاهرةِ اللامِسَاسِ أو المحظوراتِ اللغوية،حيث يرى بعض علماء اللغة المحدثين أنَّ استبدال الكلماتِ اللطيفةِ الخالية مِن أيِّ مغزى سيءٍ أو مخيفٍ بكلمات اللامساسِ أو المحظورات اللغوية يُعَدُّ ضرباً من ضروب التَّلَطُف أو حسن التعبير أو تحسين اللفظ۔[19]

المبحث الثانی:مواقف عمد المتكلم التلطف

يعمد المتكلمُ إلى أسلوب التلطف في موقفين وهما التلطف الفردى والموقف الجماعى۔التَّلَطُف الفرديُّ لايتأتى لكل أفراد المجتمع،بل هو من خصائصِ ذوي الفطنة،وسرعةِ البديهةِ والذكاءِ،وقد أشار القدماءُ من علماء العربية إلى هذا الموقف وحاولوا علاجَه تحت بابِ ما أَسْمَوْهُ "التخلصُ من الكذب بالتورية عنه"مستشهدين على ذلك بما روي عن النبي ﷺ۔[20] توجد أمثلة كثيرة فی كلام العرب للتلطف الفردى ومنها أنَّ الخليفةَ المنصورَ كان في بستانٍ ومعه الربيع،فقال له: ما هذه الشجرةُ؟قال الربيع:شجرةُ الوِفاق يا أمير المؤمنين،ولٰكن الاسم الحقيقى لتلك الشجرةِ كان شجرةَ الخلافِ،فتفاءلَ المنصورُبذلك وعَجِبَ من ذكائه[21] ومن هٰذه الامثلة مارُوى عن الخليفة المأمون أنه كان بيده مساويك،فسأل الحسنَ بنَ سهلٍ ما هذه؟فقال:ضدُّ محاسنك يا أميرَ المؤمنين،وكره أن يقولَ مساويك لأنه حسبه ادنٰى شيئ عن مقام الملک فلذا لم يقل المساويك۔ ويبدو أنَّ هذا الموقفَ هو الذى أوحى لابنِ دريدٍ بفكرةِ تأليفِ كتابهِ (الملاحن) حيثُ إنَّ الفكرةَ الأساسيةَ التى يقوم عليها الكتابُ هي استخدامُ اللفظِ المشتركِ على سبيلِ التوريةِ لمعانٍ أخرى خلاف ماهو ظاهرٌ،و قال عنه:(هذا كتابٌ ألفناه ليفزعَ إليه المجبرُ المضطهدُ على اليمينَ المكره عليها،فيعارضُ بما رسمناه،ويضمرُ خِلافَ ما يُظهرُ ليسلمَ من عادية الظالم)۔[22] اما الموقف الثانى هوالموقف الجماعي وذلك يعود إلى تواضع الجماعة اللغويّة أو المجتمع بشكل عام، فاللغة بوصفها ظاهرةً اجتماعيةً تخضع الفردَ لِمَا

---

[17]أولمان، دور الكلمة في اللغة،196۔

[18]عمر، علم الدلالة،240۔

[19]أولمان،دور الكلمة في اللغة،196؛حسام الدين،المحظورات اللغوية،14۔

[20]البيهقى،السنن الكبرىٰ،تحقيق عبد القادر عطا(بيروت،دارالكتب العلمية ،2003م) ،10: 335-336۔

[21]أبو منصورالثعالبيّ،كتاب الكناية والتعريض(بيروت،دار الكتب العلمية،1405ھ1984م)،71۔

[22]أبو بكر بن الحسن، الملاحن ابن دريد،تعليق۔ إبراهيم الطفيش(بيروت،دار الكتب العلمية، 1407ھ/1987م)،15۔

ترسمه فالدوافع النفسيةُ أو العاطفيةُ التي تفرضُ على الجماعةِ اللغوية نهجاً محدداً في التعبير ليس للفرد إلا محاكاتُها واتباعُها،وذلك ينطبق على جُلِّ الدوافع التي تعود إلى الحياة الاجتماعية كالكياسة والتأدبِ والخوفِ والتطيرِ والتفاؤلِ والتشاؤمِ ونحوها من الدوافع التي تلجأ الجماعة اللغويةُ إلى التَّلَطُف بشأنها بعباراتٍ كريمةٍ وألفاظٍ نبيلةٍ،وقدلوحظ بأنَّ العربَ مثلاً يعيبون على الرجل إذا كان يكاشفُ ويصرحُ فيما حَقُهُ السترُ والتحرزُ والأدبُ. والأسباب الاجتماعية واضحةٌ جداً في مراعاة التَّلَطُف في مثل هذا الموقفِ،ولكنَّ الحالةَ الاجتماعية تختلفُ من أمّةٍ إلى أمةٍ،ومن بيئة إلى بيئة،ومن جيلٍ إلى جيلٍ،فلعل ما يدعو إلى التَّلَطُف عند أمّةٍ لايدعو إليه عند أمّةٍ أخرى،ولا أدَلَ على ذلك إلا ما سبق وأشرنا إليه من أنّ اللاتين مثلاً يعبرون عن العورات والأمور المستهجنة بعبارات صريحة مكشوفة على حين أنَّ العرب تتلمس أحسنَ الحيل وأدناها إلى الحشمةِ والتأدب في التعبير عن هذه الأمورِ بأسلوبٍ ألطفَ وأحسنَ كما سبق ذكره في التمهيد. وهذا الموقف هو الذى دفع كلاًّ من الثعالبيِّ والجرجانيِّ إلى إفراد هذه الظاهرة بالتأليفِ. يقول الثعالبيِّ عن كتابه:(هذا كتابٌ،خفيفُ الحجمِ،ثَقِيلُ الوزنِ،صَغيرُ الجرمِ،كَثيرُ الغُنْمِ،في الكنايات عمَّا يُستهجنُ ذكرُ،ويستقبحُ نشرُه،أو يستحيا من تسميته،أو يُتطيرُ منه،أو يسترفعُ ويُصانُ عَنْهُ،بألفاظٍ مقبولةٍ تؤدي المعنى،وتفصح عن المغزى،وتحسن القبيحَ،وتلطف الكثيفَ)[23] ويقول الجرجانيُّ عن كتابه أيضاً: (فمن فوائده التحرزُ عن ذكرِ الفواحشِ السخيفة بالكنايات اللطيفة،وإبدال ما يَفْحُشُ ذِكْرُه في الأسماع،بما لاتنبو عنه الطباعُ،.. ومنها تركُ اللفظِ المتطير به إلى ماهو أجملُ منه...ومنها الأمورُ الجاريةُ بين البلغاءِ والأدباءِ ومداعباتهم بمعاريضَ لايفطن لها إلا البلغاءُ ... ومنها التوسعُ في اللغاتِ،والتفنِنُ في الألفاظِ والعبارات)-[24]أمَّا المَعِينُ الذي نهلا منه مادَة كتابيهما فهو القرآن الكريمُ،وأخبارُ الرسول ﷺ وكلامُ العربِ من قلائد الشعراءِ،ونصوصِ البلغاءِ،وملح الظرفاءِ في أنواع النثر والنظم. وبالتأمل في أبوابِ الكتابين نلحظ أنَّ أبوابَ الثعالبي في كتابه(الكنايةِوالتعريض)أشملُ للدوافعِ النفسيةِ والعاطفية التى تدفع المتكلمين إلى التَّلَطُف،ففي حين قصر الجرجانيُّ معظمَ أبوابه على العلاقة بين الرجل والمرأة - الألفاظ الجنسية- وما يتصل بها،نجد الثعالبيَّ يضيفُ أبواباً جديدة تتعلق ببعض العاداتِ والعقائدِ العربيةِ كالتفاؤلِ والتشاؤمِ والعيوب الخَلْقِيةِ والخُلُقِيةِ وما يتصل بها- يقول الثعالبيُّ:(العربُ تكنى عن

[23]الثعالبيّ، كتاب الكناية والتعريض،3-

[24]احمد بن محمد الجرجاني،المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء (مصر: مطبعة السعادة، 1908م)،3-4-

المرأة بالنعجة والشاةِ والقلوص والسرحة والحرثِ والفراشِ والعتبةِ والقارورةِ ... وبكلها جاءت الأخبارُ ونطقت الأشعارُ)[25] ومن أمثلة الكتابين ما يلي :

ثم يأتي بشواهد على ذلك من النثر والشعرِ وأحياناً من القرآن الكريم . ويختمُ كلامه حول هذه الكناياتِ الخاصةِ بالمرأة بقوله(وإنما تقع مثلُ هذه الكنايةِ ممّن لايجسرون على تسميتها أو يتذممون من التصريح بها)۔[26] وفي الكناية عمّا يجرى بين الرجالِ والنساء من الشهوةِ والتماسِ اللذة ، يقول(ولا أحسنَ ولا أجملَ ولا ألطفَ من كنايةِ اللهِ تعالى[27] عن ذلك بقوله: { وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ }[28]وقولِهِ عز وجل : { فَلَمَّا تَغَشَّاهَا }[29]وقولِهِ تعالى : { هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ }[30]وقوله تعالى:{ فَالآنَ بَاشِرُوْهُنَّ وابْتَغُوا مَاكَتَبَ اللهُ لَكُمْ} وقوله:{ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ }[31]وقوله:{فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ}[32]وقوله في الكناية عن طالب ذلك حكايةً عن يوسفَ عليه السلام:{هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي }[33] ويقول الجرجانيُّ(وتقول العربُ :في الكنايةِ عن دخول الإنسان بأهله:بنى فلانٌ على أهله، وأصلُه أنَّ كلَّ من أراد الزّفافَ بنى على زوجتهِ قبةً،فقيل لكل داخل بانٍ)[34]وفي الكنايةِ عن الختانِ ، يقولُ الثعالبيُّ:(ويكنى عن الختان بالطهر والتطهير)۔ويقول:(ومن لطائف الأَطِبَاءِ كِنَايَتهُمْ عن حشوِ الأمعاءِ بالطبيعةِ وعن البولِ بالماءِ،وعن القيء بالتعالج)[35]،ويقول في الكنايةِ عن بعض الصفاتِ الخَلْقِيةِ والخُلُقيَّةويكنى عن الأعمى بالمحجوبِ وعن الأعورِ بالممتعِ وعن البخيلِ بالمقتصد۔[36]وفي الكناية عن القتل والموت

---

[25]الثعالبيّ، كتاب الكناية والتعريض،50۔

[26]الثعالبيّ،كتاب الكناية والتعريض ،6۔

[27]الثعالبيّ، كتاب الكناية والتعريض ،13۔

[28]النساء4: 21۔

[29]الأعراف7: 189۔

[30]البقرة،2 : 187۔

[31]البقرة2: 223۔

[32]النساء4: 24۔

[33]يوسف12: 26۔

[34]الجرجاني،المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء،23۔

[35]الثعالبيّ، كتاب الكناية والتعريض،24۔

[36]الثعالبيّ، كتاب الكناية والتعريض ،46-47۔

، يقول الثعالبيُّ: (وتقول العرب في الكناية عن الموت : استأثر اللهُ به،أسعده اللهُ بجواره،نقله اللهُ إلى دار رضوانه،اختاره الله)[37]ويقول الجرجانيُّ(ومن ذلك قولُهم لحق فلان باللطيف الخبير،ولعق فلانٌ اصبعه،واستوفى أكله،واصفرت أنامله،ومضى لسبيله وَدُعِيَ فأجاب،وَقَضَى نحبه،والنحب النذر)۔[38]ويقول الجرجانيُّ:(واعلم أنَّ العربَ كما يكنون عن الموت تطيراً من ذكره ، كذلك يكنون عن القتل، فيقولون : ركب فلانٌ الأغرَّ الأشقَر إذا قُتل ، ويكنى عن قتل الملوك خاصة بالمشعرة ، إذ كانوا يكبرون أن يقولوا قُتِل ، فيقولون أشعر من إشعار البدن)[39] ويقول الثعالبيُّ في الكناية عمّا يُتطيرُ من لفظه : (يكنى عن اللديغ بالسليم ، وعن الأعمى بالبصير ، وعن المهلكةِ بالمفازة)[40] ويقول الجرجانيُّ:(وأعلم أنّ العربَ تتطير من ذكر البرصِ، فتكنى عنه بالوضحِ ،ومنه سُمِّيَ جذيمةُ الوضاحُ). ويقولُ :(ومما يُتَفَاءَل بذكره قولُهمْ للفلاةِ مفازةٌ لأن القفارَ في ركوبها الهلاكُ فكان حقُها أن تسمّى مَهْلَكَةً ولكنهم أحسنوا لفظها تطيراً بها،وعكسوه تفاؤلاً،ومن ذلك تسمية اللديغ سليماً والأعور ممتعاً تطيراً من ذكر العور)۔[41]

المبحث الثالث:دوافع التلطف وأسبابه

يرى أولمان أنّ دوافع التَّلَطُف (حسن التعبير) دوافعٌ نفسيّةٌ ، وأنَّ المتكلمَ يعمد إلى استعمالِ هذا الأسلوبِ مع كلِّ شيءٍ مقدسٍ أوذى خطرٍ،أو مثيرٍ للرعب والخوفِ،كما يطبقه على الأشياءِ الشائنةِ ، أو غيرِ المقبولةِ لدى النفس۔[42] وَ يُجْمِل بعضُ اللغويين المعاصرين هذه الدوافعَ في ثلاثةٍ هي:الخوفُ والفزعُ، الكياسةُ والتأدبُ،الخجلُ والاحتشامُ۔[43] اما وأبرز دوافع التَّلَطُف فهى بما يلي:

أولاً : الكياسةُ والتأدبُ والاحتشامُ

ويعد مجالُ المرأة وعلاقتها بالرجل وما يتصلُ بذلك من أحوالٍ أو أفعالٍ أو أعضاءٍ أبرز وأكبرَ المجالات التى تدفعُ المتكلمُ إلى التَّلَطُف بشأنها،إذ التَّلَطُف في هذا المجال من باب التحرز عن ذكر هذه الألفاظ

---

[37]الثعالبيّ، كتاب الكناية والتعريض ،62۔

[38]الجرجاني،المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء،64۔

[39]الجرجاني،المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء،،69،67

[40]الثعالبيّ، كتاب الكناية والتعريض،71۔

[41]الثعالبيّ، كتاب الكناية والتعريض،70۔

[42]أولمان،دور الكلمة في اللغة،196۔

[43]حسام الدين،المحظورات اللغوية،51۔

أو التصريح بها، فيعدل المتكلم إلى الكناية،وهي مطلوبةٌ مستحبةٌ ليس في العربية فحسب بل في معظم اللغاتِ،لأن كلماتِ هذا المجالِ مفضوحةٌ ينفر منها الناس[44]ـ وقد سبقت الإشارة إلى تعليلِ الجرجانيُّ لكثرةِ الكناياتِ عن المرأة عند العرب، وأنّها من باب التذمم من التصريح باسم المرأة كما هو الحال في هٰذاالزمان. وفيما يتعلق بهذا المجال يقول الدكتور عمر فروّخ من علماء العربية : وكان قد لفت نظري ورودَ جُملةٍ في كتاب (فقه اللغة) للثعالبيّ هي:(لعل أسماءَ النكاح تبلغُ مائة كلمةٍ عن ثقاتِ الأئمةِ بعضُها أصليٌّ ،وبعضُها مَكْنيٌ) وكنت في أثناء قراءاتي المتكررة للقاموس المحيط للفيروز آبادي ، أستغرب كثرة الألفاظِ الجنسيةِ، حتى خُيِّل إليّ أنَّه لا تخلو مادةٌ من موادِ المعجم العربيّ من لفظٍ جنسيّ دالٍ على اسمٍ أو فعلٍ أو حالٍ لذلك الجانبِ من حياة البشر وحياة الحيوان، ثم يستطرد قائلاً : وعددتُ أنا الألفاظ المتعلقةَ بهذا المدركِ في القاموسِ فوجدتُها تزيدُ على ألفٍ ومائتين ... وحاولت تعليلاً لهذه الكثرة .. فبان لي أن جانباً كبيراً منها من باب الكناية... حيث كان العربيُّ يَكْنى به عن المدرك الجنسيّ بلفظٍ ... فإذا اشتهر هذا اللفظُ ودلَّ على ماكان يُكْنى عنه صراحةً استحيا العربيُّ من الاستمرارِ في استعمالِه فانتقلَ إلى كنايةٍ جديدةٍ غامضةٍ)ـ[45]

ثانياً:التفاؤل والتشاؤم

حيثُ يُعَدُّ من أبرزِ دوافعِ التَّلَطُف في اللغاتِ،ويشملُ كلَ الكناياتِ الخاصةِ بالمجالاتِ التى نستبينُ منهاالضعف الإنسانيَّ كالموتِ والمرضِ وأسماءِ بعضِ الحيواناتِ،والجنِ،والسوامّ، ونحوِها مما يلعب التفاؤلُ والتشاؤمُ فيها دوراً كبيراً، فهي مجالاتٌ تثير ألفاظُها الخوفَ والهلعَ في نفوسِ البشر وينفرون من سماعها،ويتفادون ذِكْرَها،فِراراً مما تبعثه في الأذهانِ من آلام.وسرُّ التَّلَطُف في هذا المجالِ،هو ما استقر في أذهانِ الناسِ منذ القدمِ من الربط بين اللفظِ ومدلولهِ ربطاً وثيقاًحتى إنّه يُعتقدُ أنّ مجردَ ذكرِ الموتِ يستحضرُ الموتِ،وأنّ النطق بلفظٍ الحيةِ يدعوها من جحرها فتنهشُ من ناداها أو ذكرَ اسمَهَا[46]ـ ولعل هذا يفسر لنا تعددَ مسمياتِ بعضِ الألفاظِ المترادفةِ في العربيةِ كلفظ الداهيةِ التي قال عنها حمزة الأصفهانيُّ : (إنَّ تكاثرَ أسماءِ الدواهي من إحدى الدواهي)ـ[47]

ثالثاً:التبجيل والتعظيم

---

[44]دكتور إبراهيم أنيس،دلالة الألفاظ(مصر،مكتبة الأنجلو المصرية،1980م)،142ـ

[45]عمر فرّوخ، عبقرية اللغة العربية(بيروت،دار الكتاب العربي،1401هـ 1981م)، 57ـ

[46]دكتور إبراهيم أنيس،دلالة الألفاظ،144ـ

[47]حمزة بن الحسن الأصفهاني،التنبيه على حدوث التصحيف،تحقيق. الشيخ محمد حسن (بغداد: مطبعة المعارف، 1967م)،132ـ

حيث يعدُّ التبجيلُ والتعظيمُ في العربية من أبرزِ دوافع التَّلَطُف ويشمل الكناياتِ الخاصةَ بالمجالاتِ التى نستبينُ منها التبجيل الإنسانيَ للأشياءِ ويدخل في هذا المجالِ الهيبةُ والاحترام والولوعُ بالشيءِ وحبه-ومن أمثلةِ ذلك:إطلاقُ لفظِ الأَبِ على العمِ،وإطلاقُ لفظ الأمِّ على الخالةِ، ونحو ذلك-[48]

ولعل هذا يفسر لنا أيضاً تعدد مسمياتِ بعضِ الألفاظِ المترادفةِ في العربية،كلفظِ الحبِّ الذى ذكروا له ستين اسماً[49]-وكذالک لفظِ العسَلِ الذى ذكروا له ثمانين اسماً-[50]إنّماتدل عليه هذه الألفاظُ لا يُعدُّ في حقيقته مصدرَ استهجانٍ لدى المجتمع كما هو الحالُ في مجال العلاقة بين الرجل والمرأة وما يتصل بذلك،كما أنّه لا يعدّ مصدرَ ضعفٍ لدى الجماعة اللغوية كألفاظ الموتِ والمرضِ ونحوها،بل إنَّها أسماء نابعة من شدةِ ولوعِ المجتمعِ العربيّ بما تدل عليه هذه الألفاظُ وما ذاك التعددُ لمسمياتها إلا لتعلق القلوب بها وتبجيلها وتفسير ذلك أن اللفظَ إذا شاع استعمالُه في الدلالةِ على هذه المعاني فقد تأثيرهُ،ففقد قيمتَه الدلالية التعبيريةَ،من أجل ذلك كان العربيُّ ينتقلُ باللفظ من مجازٍ أصبح مألوفاً ضعيف التأثيرِ إلى مجازٍ جديدٍ أحسنَ وقعاً في النفس وأكثرَ أثرا-[51]

المبحث الرابع:وسائل التلطف

أما عن الوسائلِ التى يقصدها المتكلمُ حين يتلطف فأهمها:

أولاً:الاستعمال المجازيُّ

يعدّ المجاز من أهم وسائلِ المتكلمُ للتعبير عن المعاني المحظورةِ أو المقدسةِ لديه، فيعمدُ إلى الكنايةِ أو التوريةِ أو التعريضِ ونحوِها يقول الجرجانيُّ:(واعلم أنَّ الأصلَ في الكناياتِ عبارةُ الإنسانِ عن الأفعالِ التى تُستر عن العيونِ عادةً من نحو قضاءِ الحاجةِ والجماعِ،بألفاظِ تشير الى معناها ولٰكن غير موضوعةٍ لهٰذه المعانى والمفاهيم،تنزهاً عن إيرادها بوضوح الفاظهاوتحرزاً عن استعمال الفاظ وضعت لاظهارمعانيها،إذ الحاجةُ إلى سَتْرِ أقوالِها كالحاجةِ إلى سترِ أفعالِها،فالكنايةُ عنها حِرْزٌ لمعانيها)[52]ويقول أحدُ المحدثين:(والكنايةُ ليست إلا صورةً مهذّبةً متحضرةً مما يُسمّى تحريمُ المفرداتِ فكثيراً ما يقع لدى المتكلمين أن يكونَ لبعض الألفاظِ طابعُ السريةِ والخفاءِ فيمنعُ

---

[48]بن محمدالثعالبي،فقه اللغة وسر العربية،تحقيق: مصطفى السقا وشركاه(مصرر:المطبعة الادبية،1972م)،367-

[49]ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين(مكة المكرمة:دار الباز للطباعة والنشر، ب ت)،16-

[50]جلال الدينالسيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها(القاهرة،داراحياء الكتب العربية)،1: 402-

[51]عمر فرّوخ، عبقرية اللغة العربية،58-

[52]الجرجاني، المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء، 5-6 -

الأفرادَ،من استعمالِها)۔[53]ولعل هذا يفسر لنا ترادفَ الكثيرِ من الألفاظ في العربيةِ كلفظِ الداهية،والموتِ،والأسدِ ونحوهاتبعاًللتسميةِ المجازيةِ عن طريق الكنايةِ وصيرورتها إلى الحقيقةِ بفعل الاستعمال۔[54] وبيان ذلك أنّ معظمَ هذه الألفاظِ المترادفةِ إنَّما هي كناياتٌ شاعَ استعمالُهاعلى الألسنِ حتى أصبحتْ حقائقَ،ومَرَدُّ ذلك أنَّ معظمَ هذه الألفاظِ ممّا يتحرجُ الناسُ من التعبير عنها بأسمائها الصريحة مراعاةً للآداب الاجتماعيةِ والاعتباراتِ الأخلاقية والنفسيةِ،ولهذا تلجأ الجماعةُ اللغويةَ إلى الكنايةِ بلفظٍ مرادفٍ،ومما يعزز ذلك ما حكاه أبوحيان التوحيديّ عن ابن فارسٍ، حيث قال:(حدثني ابنُ فارس:جرى بين يديه أسماءُ الفرْج وكثرتُها،فقال بعضُ الحاضرين: ماذا أرادتِ العربُ بتكثيرها مع قبحها؟فقال:لما رأوا الشيءَ قبيحاً جعلوا يكنون عنه،وكانت الكنايةُ عند فشوها تصيرُ إلى حد الاسمِ الأولِ فينتقلون إلى كنايةٍ أخرى ... وعلى هذا كثرت الكناياتُ وليس غرضُهُمْ تكثيرُهَا)۔[55] ولا يقتصر الأمرُ على الألفاظِ التى يتحرجُ الناسُ عن التعبير عنها بألفاظها الصريحةِ۔كالألفاظِ الدالةِ على النكاحِ أو الألفاظِ الدَّالةِ على الخوفِ كلفظ الداهية،بل يتجاوَزُهُ إلى الألفاظِ ذاتِ القدسيةِفي حياة المجتمعِ كلفظِ الحبِّ،وكلِّ ما عَلِق بالقلبِ،يقول ابنُ قيمِ الجوزيةِ:(بابُ أسماءِ المحبةِ:لما كان إلفُهُمْ لهذاالمسمى أشدَّ وهوَ بقلوبهم أَعْلَقَ كانت أسماؤه لديهم أكثر . وهذا عادتُهم في كلِّ ما اشتدَّ إلْفُهُمْ له أو كَثُرَ خُطُورُه على قلوبهم،تعظيماً له،أو اهتماما به،أو محبة له،فالأول:كالأسدِ والسيفِ،والثاني: كالداهيةِ،والثالث:كالخمرِ،وقد اجتمعت هذه المعانِي الثلاثةُ في الحبِّ،فوضعواله قريباً من ستين اسماًوهي: المحبَّةُ،والعلاقةُ،والهوى،والصَبْوةُ، والصبابةُ والشَّغَفُ والمِقَه والوَجْدُوالكلفُ والتتيّمُ والعشقُ والجوى والدَنَفُ والشجوُوالشوقُ ... الخ)۔[56] فهذه الألفاظُ تَفْقِدُ عند شيوعها على الألسنِ تأثيرهَا البلاغيُّ،فتفتقدُ بذلك قيمتها الاجتماعية،فيلجأ العربيُّ إلى لفظٍ متبادل أقوى أثراً في النفس وأحسن وقعاً على الآذان،وعلى هذا تعددتْ مسميات الشيءِ الواحدِ من باب التبجيلِ والتعظيمِ لا الاستهانةِ والاستهجانِ۔ بل إن من أبرزِ أسبابِ ظاهرةِ التضاد في العربية التعبيرُ بلفظِ محبوبٍ عن لفظٍ مكروهٍ لأسبابٍ نفسيّةٍ حيثُ لعبت غريزةُ التفاؤلِ والتشاؤمِ عند العربِ دوراً كبيراً في نشأةِ بعضِ ألفاظِ هذه الظاهرةِ،فرأينا العربَ تعدلُ عن الألفاظِ الدالةِ على المعنى الحقيقيّ إلى ضدِّها تشاؤماً من

---

[53]فندريس، اللغة ،تحقيق۔ عبدالحميد الدواخلى ومحمد القصاص (القاهره: المركز القومى، 2014م)،281۔

[54]حاكم مالك لعيبى،الترادف في اللغة(الجمهورية العراقية:منشورات وزارة الثقافة والإعلام،1980م)، 125۔

[55]أبو حيان على بن محمدالتوحيديّ،اخلاق الوزيرين ،تحقيق د. إبراهيم الكيلاني (دمشق :دارالفكر، 1961م)، 254۔

[56]ابن قيم الجوزية, روضة المحبين ونزهة المشتاقين،16۔

التصريح بها،وتفاؤلاً بضدها،يقول ابنُ قتيبةَ: (ومن المقلوبِ أن يوصفَ الشيءُ بضدِّ صفتِهِ للتطيرِ والتفاؤلِ كقولِهم للديغِ سليمُ تطيراً من السُقْمِ وتفاؤلاً بالسلامة،وللعطشان ناهلٌ أيّ سينهلُ يعنون يروى،وللفلاة مفازةٌ أي منجاة وهي مَهْلَكَةٌ)[57] ويقاسُ على ذلك قولُ العربِ بصيرٌ للأعمى،وقافلةٌ للمسافرين تفاؤلاً برجوعهم إذ الأصل فيها الدلالةُ على الراجعين من السفر . ونحو ذلك۔[58] بل تجاوز العربُ ذلك إلى المبالغةِ في وصفِ الأشياءبغير صفاتِها الحقيقيةِ خوفاً عليها من العينِ والحسدِ،قال أبوعبيدةَ:(مهرةٌ شوهاءُ قبيحةٌ وجميلةٌ،قال أبوحاتم مفسراً ذلك: لا أظنهم قالوا للجميلةِ شوهاء إلا مخافةَ أن تُصيبَها عينٌ،كما قالوا:للغراب أعورَ لحدةِ بصرِهِ)۔[59]

ثانياً:التحريفُ الصوتيُّ

إنّ الأثرَ الناجم من التحرّج من استعمال المفرداتِ لاينحصرُ في الاستعمالِ المجازيِّ بل يتجاوَزُهُ إلى التحريفِ الصوتيِّ للكلمةِ،وذلك عن طريقِ الإبدالِ لتخفيفِ ما تنطوي عليه الكلمةُ من الخطرِ أو الاستهجان،دون أن ينقص ذلك من قيمتها الدلاليةِ وفي استطاعة كلِّ إنسان في هذه الحالةِ أن يفهمَ المرادَ على الفورِ،وكأنَّ اللسانَ قد زلَّ وهو ينطق الكلمة ولكنَّ الخطأَ هنا متعمدٌ لغاياتٍ خفيةٍ أو لمراعاة التَّلَطُف۔ونلاحظ هذا التحريفَ الصوتيَّ للكلماتِ واضحاً في مجالِ العلاقةِ بين الرجل والمرأة ومايتصل بها، من أمثلة ذلك: قولُهم:بكَّ الرجلَ المرأةَ يبكها بكا،وهكها يهكهاهكا.[60]وقولهم: طفزها وطعسها وطخزها وطحسها ودعزها ودعسها۔[61]

وقولهم:عسلهاوغسلها وحَطَأَها وفَطَأها،عَصَدَها وعَزدها ودَسَمَها ودَفَسَهاوفَحَجَهاوفَخَجَها، كلٌ ذلك إذ نَكَحَها[62]وكلها كنايات عن الجماع۔ كما نجد في المعاجمِ وكتب الإبدالِ أيضاً كلماتٍ كثيرةً ذاتَ دلالاتٍ سلبيةٍ تتميزُ بالتحريف الصوتيِّ كالكلماتِ الدَّالةِ على ضعفِ الإنسانِ أو دمامته ونحو

---

[57]عبدالله بن مسلم قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق:السيد أحمد صقر(القاهرة،دار التراث، 1973)،185۔

[58]دكتور إبراهيم أنيس،في اللهجات العربية(القاهرة:مكتبة الأنجلو المصرية،1992م)، 29؛ الشيخ عبدالواحد، البلاغة وقضايا المشترك(السكندرية:مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ،1986م)، 120۔

[59]إبراهيم أنيس،في اللهجات العربية،209۔

[60]يعقوب بن السكّيت، كتاب الإبدال، تحقيق۔ حسين محمد شرف(القاهرة: المطابع الأميرية،1398ھ)،1: 88۔

[61]ابن السكّيت،كتاب الإبدال،2: 119؛حسام الدين, المحظورات اللغوية،62۔

[62]على بن الحسين الهنائى كراع النمل،المنتخب من غريب كلام العرب، تحقيق۔ محمدبن احمد العمريّ(مكة المكرمة:معهد البحوث العلمية ،1409ھ)،1: 138۔

ذلك،مثل قولِهم:رجلٌ حَزَوَّرٌ وَهَزَوَّرٌ للضعيف،ورجل حَبَلَّقٌ وَهَبَلَّقٌ إذا كان دميماً،ورجل قَنْثَرٌ وَكَنْثَرٌ إذا كان صغير الحجمِ[63]۔ وعَشَبَةٌ وعشمةٌ إذا كان يابساً من الهزال،وقَحْبَةٌ وَقَحْمَةٌ لكل كبيرةٍ مسنة،ورجل بُحْتُر وبُهْتُر قصيرٌ،وموتٌ ذُؤَافٌ وذُعافٌ وزؤأف وهو الذى يعجل القتل،والجَلَهُ والجلَحُ وهو انحسار الشعرِ عن مُقَدَّم الرأسِ،وأَيْمٌ وأَيْنٌ للحية۔[64] ونحو ذلك مما يمكنُ تفسيرُه تبعاً للتحريفِ الصوتي الذى يتوسلُ به المتكلمُ بغرضِ التَّلَطُف، وتعليلُ ذلك وبيانه أنَّ هذه الألفاظَ مما يتحرجُ الناسُ من التَعبيرِ عنها بألفاظِها الصوتية مراعاةً للآداب الاجتماعية والاعتباراتِ الأخلاقيةِ والنفسيَّةِ،ولهذا تلجأ الجماعةُ اللغويَّةُ إلى التحريفِ في صورةِ الكلمةِ كلما شاع استعمالُها كما لجأت إلى الكنايةِ بالمرادفِ والمضادِّ وغيرها من الألفاظ التى تتقاسمُ معها المجالَ نفسَهُ والدوافِعَ نَفْسَهَا،مما سبقت الإشارةُ إليه۔

نتائج البحث

ان التلطف فى اللغة والطبائع يوثر على الحيوٰة البشرى والمجتمع الانسانى ويزيد السلام والطمانينة فى المجتمع البشرى۔ التلطف الفردى والموقف الجماعى هما مواقف عمد المتكلم التلطف يستعملان صراحة احيانا وكناية فى بعض المواقع لاظهار مراد المتكلم وحديث قلبه۔اسباب ودوافع للتلطف فى الاسلوب العربى ثلاثة وهى:اولاالكياسةُوالتأدبُ والاحتشامُ وثانياالتفاؤل والتشاؤم وثالثاالتبجيل والتعظيم وتكلم فيها اللغويون كلاما تاما لايضاح المقصود فى هٰذه الدوافع الثلاثة۔اما نكتة وسائل التلطف فى هٰذاالبحث ترشد القارى الى فهم الاستعمال المجازى والتحريف الصوتى كما اتضح الموضوع بالامثلة الباهرة۔ فهٰذاالبحث العملى مهم جدا من جهة بانه وسيلة لفهم لين الكلام واستعمال الفاظ متبادلة ومتعارية للتحسين والتزئين فى الكلام ولزيادة اثرها على السامع۔ لا بد للباحثين ان يتعلموا اساليب الكلام واثره وكيف يمكن تحسين الكلام فى بحوثهم وتكلمهم فى المجالس العلمية والاجتماعية اليومية۔على المدرسين والعماء والمبلغين خاصة ان يراعوا الفاظ كلامهم لحصول نتائج جهدهم فى اشاعة العلم وتبليغ احكام الدين۔يحتاج الانسان الىٰ تغيير الكلام باستعمال الفاظ لينة لطيفة بدل الصعبة الشديدة فى مواقع الاجتماع لان اختلاف الطبائع توصل الى اختلاف الفكرواتصادم احيانا فاذا كان الكلام لطيفا فلا مجال لاحد ان يصادم ويحارب الآخرين فلا بد ان يكتب ويطبع المباحث فى هٰذاالمجال لتربية الباحثين القارئين العالمين۔

---

[63]أبوالطيب عبدالواحد بن على اللغوى، كتاب الإبدال ، تحقيق۔ عز الدين التنوخي (دمشق: مطبوعات المجمع العلمى العربي)،1: 321 ، 325 ،2: 357 ؛ حسام الدين، المحظورات اللغوية، 62۔

[64]ابن السكيت، كتاب الإبدال،71، 77، 85، 92، 93۔